

الأرابيسك الشعري عند عفيفى مطر

والمكان التي نجدها لدى أدونيس ومدرسته التجريدية . الأمر الذي يضعهم على الأعراف بين التعبير والتجريد، في المسافة الواقعة بين النافذة والمرأة، لكنه يدفعهم إلى أن يصنعوا بإخلاص وإتقان منظوماتهم الفنية من المادة التي طوعها أسلافهم وبنوا فيها عبقريتهم. فشعرهم لا يشف تماماً مثل زجاج النافذة عن تجاربهم الحيوية، كما لا يحجب ما وراءه عاكساً صورة من يقف قبالة كما تفعل المرأة، بل يقوم بتركيب عدد من العناصر المتجانسة؛ المخروطة برشاقة واتساق من أرومة الثقافة العريقة ذاتها، تاركاً منافذ صغيرة وظليلة تقطر الضوء وتعطر النسيم. على أن أبرز خاصية فيه هي بنيته الهندسية؛ إذ يقوم بتوزيع هذه العناصر مثل "المشربية" طبقاً لمورفولوجيا منتظمة وصارمة، لا مجال فيه لأي اختراق أخرق، أو خروج نزق غير محسوب. مادة صورته معجونة بماء واحد، هيكل مقاطعه مخروط بذات الشكل المدور أو المربع أو المتداخل. قد يبدو ما يترأى من ظلاله التصويرية عبثياً أو لا معقولاً، غير أنه يكتسب قوامه من تشاكله وانساجامه. وإذا كان عالم الجمال الفرنسي الكبير "إتيان سوريو" قد لاحظ منذ منتصف القرن في كتابه عن "تراسل الفنون" العلاقة الحميمة التي تربط فن الأرابيسك ببعض الأشكال الموسيقية الغربية فإن متابعة تجذر هذه العلاقة بين التشكيل والشعر العربيين وامتدادها في أصلاب التيارات الحدائرية قد يكون مدخلاً جمالياً أشدّ عوناً على تحديد خواصها وتجسيد تقنياتها في الأداء الفني.

فإذا حاولنا الإمساك بأهم الخيوط العربية التي يتكوّن منها نسيج القصيدة عند عفيفى مطر خاصة، وجدنا إجمالاً واضحاً على الإحساس بأنه مشدود إلى سرّة الأرض، إلى الطمي والطين، عند تلك اللحظة الساخنة الآتية التي يمتزج فيها التراب القديم في أديم الأرض بالماء المتجدد في مرّ السحاب، لصناعة عجينة شعرية ذات نكهة نفاذة، لا تلبث أن تستحيل إلى أشكال خزفية مصقولة، مفعمة بالمفردات والتراكيب التي تستثير بصورها وتهاويلها مخيالنا الجماعي، بما تبعثه من أخلاط وتبته من عناصر، تستنفر فينا كلّ الموروث الأنثروبولوجي الذي يعمل في أعراقنا منذ القدم. هذا المعجون المؤلف من المعرفة والعرفان، من بقايا الفكر وأمشاج الوجدان، الممتزج بعشب الأرض وعطر الأحباب، هو الذي تستنفره خاصة أشاعر عفيفى مطر بما يضيح فيها من شهوة الحياة الجديدة.